

الفصل الأول

المسلمون

المسلمون خير الناس على وجه الأرض ومن حق كل صاحب دين أن يعتبر أهل دينه هم خير الناس جميعا على وجه الأرض ، وإلا فما جدوى بقائه متمسكا بهذا الدين؟ ولكن الحكمة الماثورة والشهيرة تقول : « ما أسهل الدعوى وما أعز المعنى » ولذلك وجب على كل صاحب دين وصاحب مذهب على وجه البسيطة أن يكون لديه من الحجج والأسباب والأسانيد ما يجعله يؤمن ويعتقد ويجزم بأن دينه هو خير الأديان جميعا ، وأن أهل دينه هم خير الناس جميعا على وجه الأرض .

وحجة المسلم في ذلك ببساطة شديدة هي أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام والمسلمين .

وهذا القرآن الكريم مضى على نزوله حتى الآن أكثر من ألف وأربعمائة عام أي أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ولم يشبع منه العلماء وله في كل زمان ومكان

القراء الذين يقرؤون والحفظة الذين يحفظون ،
والمفسرون الذين يفسرون والعلماء الذين يستخرجون
ويستنبطون ويحللون ويشرحون وتم وضع وتأليف
مئات الكتب التي تتحدث عن أوجه إعجاز القرآن
الكريم وبالذات الإعجاز العلمي في القرآن .

كل هذا في نفس الوقت الذي لم يقدر فيه عربي ولا
أعجمي منذ نزول القرآن وحتى الآن على تأليف كتاب
واحد يمكن أن يقنعك بأن مؤلف القرآن بشر أو أن
محمدًا ابن عبد الله أو غيره هو الذي وضع القرآن .

ويدعى كتاب الغرب الذين اعتبروا محمدًا مؤلفًا
للقرآن أنه قد اقتبس القصص القرآني والحكم والأمثال
وأكثر الصور البيانية في القرآن من الكتب المقدسة أو شبه
المقدسة لدى اليهود والنصارى . ويرد على ذلك أستاذ
الفلسفة الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله :

« ولكي نفترض صحة هذا الزعم فلا بد أن محمدًا
كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية ، ولا بد أنه كان
لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل الأدب التلمودي

والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقرارات
المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين
وكتب مختلف الكنائس - الملل والنحل المسيحية، هل
يمكن أن يعقل هذا الكلام الشاذ لهؤلاء الكتاب وهو
كلام لا برهان عليه .

ونضيف على كلام أستاذنا الدكتور عبد الرحمن بدوى
أستاذ الفلسفة الكبير ونقول : هذا بالنسبة لما ورد من
قصص وأحداث في القرآن لها شبهة مع الفارق في كتب
العهد القديم والجديد . فماذا عما ورد ذكره في القرآن ولم
يرد له ذكر على الإطلاق في كتب اليهود والنصارى وكل
الكتب القديمة كأخبار عاد وثمرود وقد خلت منها
التوراة، وقصة المائدة وقد خلت منها الأناجيل المصرح
بها لديهم وخبر لقمان الحكيم الوارد ذكره في القرآن
الكريم في سورة لقمان ولم يرد له ذكر في كتب الأولين .
من أين جاء بكل ذلك محمد بن عبد الله عليه أفضل
الصلاة والسلام ومن أخبره به وقصه عليه ؟!

وهذا وذاك بالنسبة لنبا من قبلكم . فماذا عن خبر ما

بعدكم ؟ أي ما ورد في القرآن من أخبار عن أمور آتية
تقع بعد نزول الآيات القرآنية ؟ من أخبر محمدا عليه
الصلاة والسلام بها ؟ أم قالها من عند نفسه ووقعت مطابقة
بمحض الصدفة ؟!

قال تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ (٢١) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ [الروم: ٢، ٣].

وقد كان !!!

وقال تعالى في مشوار يهود ومصير بني إسرائيل :
﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ آمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقد كان !!!

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ .

[الإسراء: ١٠٤]

وقد كان !!!

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧].

وسوف يكون بإذن الله وعمّا قريب إن شاء الله .

وكل هذا قليل من كثير وعلى سبيل المثال وليس
الحصر بطبيعة الحال .

وأما الإعجاز العلمي في القرآن فالمكابر فيه كناطق
صخرة يوما ليوهنها فقد جاءت كل الكشوف والبحوث
العلمية الحديثة ومنذ عصر النهضة وإلى الآن مطابقة
ومصدقة لما ورد في القرآن الكريم المنزل في أوائل القرن
السابع الميلادي منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولم تعد
المسألة مجرد الاستشهاد بمثل أو مثلين ، بل أنشئت أخيرا
جمعيات للإعجاز العلمي في القرآن وغالبية أعضائها من
حملة الدكتوراه الحاصلين على أعلى الشهادات
والدرجات العلمية في تخصصاتهم في الطب وعلم
الأجنة بالذات وفي الفلك وغزو الفضاء وعلم
الجيولوجيا وطبقات الأرض وكروية الأرض وكل
مجالات البحث العلمي في شتى العلوم .

وكل جديد في هذا الشأن يقول بصريح العبارة
وبمنطق العلم والعقل : من المستحيل أن يكون هذا

الكتاب الكريم من وضع بشر عاش في القرن السادس
أو السابع الميلادي في جزيرة العرب .

وكل الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم امتدت
لها في الأزمنة السحيقة يد التحريف والتخريب والدليل
على ذلك وعلى سبيل المثال أن ينص في بعضها على وقوع
الزنى بين المحارم في بيوت الأنبياء كوقوع الزنى بين نبي
الله لوط مع ابنتيه والعياذ بالله ، ووقوعه من نبي الله داود
عليه السلام مع امرأة إيليا ومن ابنه مع شقيقته ؟ والعياذ
بالله .

أما القرآن فقد بقى محفوظا منذ أربعة عشر قرنا من
الزمان وحتى الآن فقد قال الحق تبارك وتعالى في محكم
آياته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

وصدق الله العظيم وتم حفظه فعلا والحمد لله من أي
تحريف أو زيادة أو نقصان وما كان هذا ليتأتى أبدا
لكتاب من وضع بشر مهما حرص البشر كل البشر على
ذلك .

الفرض الأولى بالمجادلة :

أستاذ الفلسفة الدكتور عبد الرحمن بدوى أفحمهم
 وأسقط حجتهم فيما يزعمونه أو يدعونه من أن محمد بن
 عبد الله قد اقتبس القصص القرآني والحكم والأمثال
 وأكثر الصور البيانية في القرآن من الكتب المقدسة لدى
 اليهود والنصارى وقال : إن هذا الزعم يستلزم
 بالضرورة أن يكون محمد بن عبد الله على علم بلغات
 زمانه من عبرية وسيرانية ويونانية وأن تكون لديه مكتبة
 كبيرة .

والحقيقة لو حسنت النوايا وأخذت القضية على
 محمل الجد والبحث العلمي الدقيق والأمين لكان الرد
 أيسر من ذلك بكثير ، كان الرد في كلمتين وكيف يقتبس
 من كتب الآخرين وهو لا يقرأ ولا يكتب ؟ ويتتبع
 الأمر عند ذلك ولكنهم عند زعمهم هذا لديهم زعم
 آخر وفرض آخر سابق عليه يفترضونه ولا يحيدون عنه
 وهو أن محمد بن عبد الله من وجهة نظرهم كان يقرأ

ويكتب وبناء عليه يصبح الأولى بنا مجادلهم في ذلك
أولا لعلهم يرشدون ويهتدون .

إن أعداء رسول الله فيما يزعمونه ويدعونه عليه من
علمه بالقراءة والكتابة واقتباسه من الكتب المقدسة عند
اليهود والنصارى إنما يخوضون في ذلك بغير علم ودون
أدنى اعتبار للحياة الشخصية لصاحب السيرة .

إن من المعلوم والمشهور عن حياة رسول الله أنه عاش
أربعين سنة من عمره لم يقرأ كتابا ولم يخط بيمينه حرفا
واحدا ولم يشهد ولم يقل بغير ذلك أحد من أهل الجزيرة
وعلى من يدعون غير ذلك إثبات العكس والبيئة إن كان
لديهم بيئة ؟

ونسألهم ببساطة شديدة وبالعقل والمنطق أكان يعرف
القراءة والكتابة والاطلاع على كتب الآخرين والاقتباس
منها وكتب ذلك سرا أربعين عاما ثم فجأة بدأ التأليف
بعد الأربعين من عمره أم شأهت العقول ؟ وعلى قلوب
أقفاها ؟

وهذه الحقيقة البسيطة والواضحة وضوح شمس
النهار يعرضها عليهم ويجادلهم بها رب العزة في قوله
الكريم :

﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبَكُمْ بِهِ
فَقَدْ لَبِثْتُمْ فِيكُمْ عُمرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

[يونس: ١٦]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِّن قَبْلِهِ مِّن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ
بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا زَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] .

كتاب الوحي :

أمر آخر يعلمه بالضرورة أعداء رسول الله
ويتجاهلون به عن عمد عند زعمهم معرفة محمد بن عبد
الله عليه الصلاة والسلام بالقراءة والكتابة وذلك هو أمر
«كتاب الوحي» .

فمن المعلوم عن حياة رسول الله أنه بعد نزول الوحي
كان لديه فريق عمل من صحابته الذين يجيدون القراءة
والكتابة فإذا هبط عليه الوحي استدعى من شاء منهم

ليملى عليه ما نزل من آيات ليكتبها . وهذا أمر طبيعي بالنسبة لنا ولكل من يؤمن برسالته ويصدق بأنه الصادق المصدوق وكان لا يقرأ ولا يكتب .

أما بالنسبة لأعدائه وأعداء الإسلام فنسألهم ماذا يقولون لأنفسهم ولنا عن أمر كتاب الوحي وهم يصرون على زعمهم بأنه كان يقرأ ويكتب .

هل يقولون : نعم كان يقرأ ويكتب وأخفى ذلك سرا ، وكان لديه كتب يضطلع عليها في السر ، ولما بدأ التأليف جاء بكتاب الوحي حوله يكتبون له مدعيا على حد زعمهم عدم معرفته بالكتابة وأن الوحي ينزل عليه من السماء إمعانا في تضليل الناس وجذبهم لدعوته وبأن ما جاء به معجزة خارقة .

ونسأل : وهل يستطيع إخفاء هذا السر على الناس وإلى مالا نهاية ولا ينكشف أمره مهما بلغت قدراته البشرية في الكذب والخداع ؟

لقد استمر هذا الأمر ثلاثة وعشرين عاما أي أكثر من

عقدين من الزمان يملئ على كتاب وحيه ويخفى قدرته على الكتابة ولا يكتشف أمره أحد؟ ولم يحدث ولو مرة واحدة أن استدعى أحد كتاب وحيه وأبطأ عليه فراح يخطها بيمينه سهوا وخلصة ورآه بعضهم؟

ثلاثة وعشرون عاما وهو مستمر في الكذب والتمثيل على الناس ولم يضبطه أحد. هل هذا معقول أم شأنت العقول؟

صلح الحديبية:

كان يوم الحديبية يوما شديدا الوطأة على النبي ومن حوله من المسلمين. كانوا في شوق لدخول مكة وأداء العمرة ومنعوا من ذلك وضاعف من غضبهم ما كان في الصلح من تشدد سهيل بن عمرو وتساهل رسول الله حتى أن عمر بن الخطاب أظهر غضبه وعدم رضاه علانية بقوله لأبى بكر ثم لرسول الله: فعلام نعطي الدنية في ديننا.

ويقول له أبو بكر: يا عمر إزم غرزك فإني أشهد أنه رسول الله.

وبعد عقد الصلح يأمر رسول الله الناس بالنحر والحلق فيتردد القوم فيدخل رسول الله شاكيا ذلك لأم المؤمنين أم سلمة فتشير عليه بأن يبدأ بنفسه فلما رأى الناس صنيعه توابوا ينحرون ويحلقون .

وفي هذا الجو المشحون وأثناء كتابة العقد وكان الكاتب عليا بن أبي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه وكان مما أملى عليه رسول الله قوله : « أكتب ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » ، فقال سهيل : أمسك ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله لعلی : « امحها يا علی » فقال علی : والله لا أمحها ، فقال له رسول الله بغضب : « أرني مكانها يا علی » أي يريد رسول الله أن يشطبها بنفسه ولكنه لا يعرف مكانها من الصحيفة فهو كما نعلم لا يقرأ ولا يكتب .

واسأل بالله عليك السفهاء ممن يزعمون معرفة محمد بن عبد الله بالقراءة والكتابة ويكذب على قومه : أفى مثل هذا الموقف العصيب والجو المشحون يستمر التمثيل ولا

تمتد يده مباشرة إلى مكان الكلمة بعفوية وتلقائية ؟

عتاب ربه له :

ونسأل الذين يزعمون بأن محمد بن عبد الله هو مؤلف القرآن ماذا يقولون وبماذا يفسرون وجود عشرات الآيات بالقرآن يعاتب فيها رب العزة نبيه في أدق التفاصيل والأسرار من حياته والتي لو كان المؤلف بشرا لأخفاها بالضرورة ولم يظهرها للناس بأي حال من الأحوال .

ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر :

قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِّ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴾ .

[الأحزاب: ٣٧]

وعن عائشة > قالت عن هذه الآية : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتّم هذه الآية .

وقال تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ [الكهف: ٢٣] .

قال العلماء : عاتبه الله تعالى كما ورد في تفسير القرطبي على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذو القرنين غدا أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثن في ذلك .

وفي سورة عبس قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۖ فَأَنْتَ عَنْتَ لَهٗ﴾ [عبس: ٨ - ١٠] .

وورد في التفاسير : أن الآية عتاب من الله لنبيه ﷺ في إعراضه وتولييه عن عبد الله بن أم مكتوم وقال الثوري : فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم ييسط له ردائه ويقول : « مرحبا بمن عاتبني فيه ربي » .

وفي سورة الأنفال قال تعالى :

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُٗ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ ﴾ .

[الأنفال: ٦٧]

وورد في تفسير القرطبي أن النبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال ولا أراد قط عرض الدنيا وإنما فعله جمهور

مباشري الحرب فقد قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر :
« ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » .

فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة
أرى أن تأخذ منهم فدية ، وقال عمر : قلت : لا والله يا
رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكنى أرى أن
تمكننا فنضرب أعناقهم .

فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ، وفي الغد جاء عمر
لرسول الله فراه هو وأبو بكر قاعدين يبيكان . أي بعد
نزول الآية وعتاب رب العزة لنيبه وللمؤمنين .

ونسأل السفهاء من أعداء رسول الله لو أن محمد بن
عبد الله هو الذي ألف القرآن على حد زعمهم فهل كان
يكتب عن نفسه أنه أخذ الأسرى وأنه ومن معه ممن
يريدون عرض الدنيا ثم يقول ما كان له أن يفعل ذلك
ثم يجلس ليبيكى ويبيكى معه أبو بكر ؟

هرقل وأبوسفيان :

هناك من الأعداء السفهاء والعقلاء ، ومن الأعداء
السفهاء هؤلاء الذين يزعمون أن محمد بن عبد الله هو

الذي ألف القرآن ونسبه كذبا إلى ربه وادعى النبوة .
ومن الأعداء العقلاء هناك على سبيل المثال هرقل
ففي اللقاء الذي تم بينه وبين أبي سفيان وفي الحوار
الذي دار بينهما راح هرقل يوجه إليه أسئلة يستفسر فيها
عن المبعوث أو النبي الجديد الذي ظهر لديهم في الجزيرة
ومن الأسئلة التي طرحها هرقل سأله إن كانوا قد جربوا
عليه الكذب قبل بعثته فرد أبو سفيان بالنفي طبعاً ، فقد
كان معروفاً لديهم بالصادق الأمين فرد هرقل عليه
بمنطق العقل والحكمة :

ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .
خلاصة الأمر : معجزة الإسلام والمسلمين القرآن
الكريم ، ولم ولن يقدر بشر على تأليف كتاب يمكن أن
يقنعك بأن القرآن من وضع بشر أو من تأليف محمد بن
عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

